مدح الأمير سيف الدولة الحمداني في عصر الدويلات

إعداد

عطية صالح علي الربيقي

مدرس مساعد في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة المرقب بليبيا

المديح

مقدمة:

المدح في اللغة نقيض الهجاء: المَدْح نقيض الهجاءِ: "وهو حُسْنُ الثناءِ يقال مَدَحْتُه مِدْحَةً واحدة ومَدَحَه يَمْدَحُه مَدْحًا ومِدْحَةً هذا قول بعضهم والصحيح أَن المَدْحَ المصدر والمِدْحَةَ الاسم والجمع مِدَحٌ وهو المَدِيحُ والجمع المَدائحُ والأَماديح الأَخيرة على غير قياس"[١]، ومن صفات المدح: ذِكر فضائل الناس من حيث هم ناس يتمتعون: "بالعقل والشجاعة والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً؛ ثم قد يجوز مع ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض".[٢]

يقول ابن رشيق القيرواني: أنه يجب على الشاعر" أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل"[٣]، "ويجب أن يقصد في مدح صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحد ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها، ..."[٤]، وقال

---

[١] العين، تأليف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج١٨٨/٣، ولسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ج٥٨٩/٢.

[٢] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م، ج١٠/١.

[٣] العمدة في محاسن الشعر وآدابه وآدابه، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١هـ–١٩٨١م، ج١٥٣/١.

[٤] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تأليف: أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الفكر الإسلام، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م، ودار الكتب الشرقية، سنة ١٩٦٦م، ص٥٤.

عمر بن الخطاب– رضي الله تعالى عنه– من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم"[١]

والمديح مجال شعري معروف منذ العصر الجاهلي؛ ولكنه في العصر العباسي اشتق لنفسه مضامين جديدة إلى جانب مضامينه القديمة، فإذا كان مداره المعنوي قديمًا حول صفتي الكرم والشجاعة بصفة أساسية، فإنه في العصر العباسي لم يلتزم دائمًا بالدوران حول هذا المدار، إذا لم يكن المقصود أن يُمدح أحد كتاب الوزراء أو كتاب الدواوين مثلًا بالشجاعة والبطولة، وإن أمكن مدحه بالجود والكرم، بل المعقول أن يُمدح بالفطنة والحصافة وبعد النظر وبراعة القول، وما أشبه ذلك مما يتعلق بطبعه وعمله، وهذه معان جديدة كان لابد أن تدخل في مجال المدح، وازدهر شعر المديح في ظلال الدولة الحمدانية، فامتزج المديح بوصف المعارك، وهذا لون جديد من ألوان الشعر في العصر الحمداني.[٢]

مدح الأمير سيف الدولة الحمداني.

أما الملوك والأمراء، " فكان لهم من المدح المأجور أوفى نصيب، إذ كانوا أعظم سلطانًا وأفر مالًا وأعظم ثراءً، فكانوا من أجل ذلك أبرز منتجع للشعراء وأعظم مقصد تتعلق به آمالهم في المال

[١] البيان والتبيين، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط٧سنة ١٤١٨هـ ، ١٩٨٨م، ج٢/٣٢٠.

[٢] ينظر في الشعر العباسي الرؤية والفن، تأليف: د.عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة – مصر، ط١ سنة١٩٩٤م، ص٣٣٧،٣٣٨.

والعطاء"[١]،" وكذلك "برز الإلحاح على المعاني الإسلامية بخاصة في مدح الخلفاء والوزراء على نحو لم يعهد من قبل".[٢]

وعندما رجع الأمير الحمداني إلى حلب، وهو يسمع مديح شاعره المتنبي الذي خاطبه بقصيدة[٣] قائلاً:[٤]

علـى قـدر أهـل العـزم تأتي العزائم ** وَتأتي عـلَى قَـدْرِ الكِـرامِ المَكارمُ

وَتَعْظُـمُ في عَـينِ الصّغـيرِ صغارُها ** وتصغـرُ في عين العظيم العظائـم

يُكَلّـفُ سيـفُ الدّوْلَـةِ الجيـشَ هَمّهُ ** وقد عجزت عنه الجيوشالخضارم[٥]

ويطلبُ عنـد النـاس مـا عنـد نفسـه ** وذلك مـالا تدعيـه الضراغـم

يُفَـدّي أتَـمُّ الطّـيرِ عُمْـراً سِلاحَـهُ ** نسـورُ الفَـلا أحداثُها والقشاعـم[٦]

وَقَفْتَ وَمـا فـي المَـوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ ** كأنك فـي جفـن الردى وهو نائـم[٧]

تَمُـرّ بـكَ الأبطـالُ كَلْمَـى هَزيمَـةً ** وَوَجْهُـكَ وَضّـاحٌ وَثَغْـرُكَ باسِـمُ[٨]

أيُنْكِـرُ رِيـحَ اللّيـثِ حتّـى يَذُوقَـهُ ** إلـى قـول قـوم أنـت بالغيب عالـم

---

[١] ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، تأليف: درويش الجندي، دار نهظة مصر للطباعة والنشر، القاهرة – مصر سنة ١٩٦٩م، ص١١١.

[٢] في الشعر العباسي الرؤية والفن، تأليف: د. عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى سنة١٩٩٤م، ص٣٤٣.

[٣] ينظر سيف الدولة وعصر الحمدانيين، تأليف: سامي الكيالي، دار المعارف للطبع والنشر، القاهرة – مصر ص٨٨.

[٤] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت– لبنان، ٣٨٥.

[٥] الهم: ما هممت به من أمر، الخضارم: جمع خضرم، الكثير من كل شيء.

[٦] أحداثها: صغارها، القشاعم: المسنة من النسور.

[٧] الردى: الهلاك

[٨] كلمى: جرحى.

يقول الشاعر: إنما تكون العزائم على قدر أصحاب العزم فمن كان كبير الهمة قوي العزم عظم الأمر الذي يعزم عليه، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها، فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم، والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال فإذا صغروا صغرت وإذا كبروا كبرت، وتكون صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر، ويكلف جيشه ما في همته من الغزوات والغارات، ولا يقوم بتحمل ذلك الجيوش الكثيرة؛ لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله، والخضرم الكثير العظيم، ويطلب عند الناس ما عنده من الشجاعة والبأس، والأسود لا تعدي ذلك الذي عنده من الشجاعة، و يريد بأتم الطير عمرا النسور، يعني أن النسور تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا؛ لأنها كفتها التعب في طلب الأقوات، ويقول: وقفت في مقام من قام فيه لا يشك أنه يقتل، وقد أحاط الموت من كل جانب، حتى كان الردى نائم عنك وأنت قائم في جفنه؛ لإحاطته بك، فقد شبه إحاطة الردى به بكونه في جفنه، وسلامته بكون الردى نائم عنه، ويقول: وقفت وكانت الأبطال تمر بك، وهي مجروحة منهزمة عابسة الوجوه، وأنت مشرق الوجه ضاحك السن، لم تداخلك حيرة لانهزام أصحابك، ومعرفتك بوجه الأمر في تلك الحالة، وإن الدمستق لا يزال يتعرض لك حتى تقتله أو تأسره، ولو كان له عقل لكفاه ما رأى من شجاعتك وهزمك إياه، والبهائم أعقل منه؛ لأنها تعرف ريح الليث من بعيد فتتباعد عنه.[١]

يخاطب المتنبي سيف الدولة ويرجوه ويتوسل إليه أن يخلصه من كيد الحساد في القصيدة

يفضل المتنبي العرب ممثلين في وائل، وهو جد من عدنان، بنوه (بنو حمدان) ملوك الموصل والجزيرة وحلب في العصر العباسي [٢]، ويصفهم الشاعر بالكرم والشجاعة، وقد زاد فضلهم على الناس بفضل الأمير سيف الدولة[٣]، قائلاً في كرم الأمير:[١]

---

[١] ينظر معجز أحمد، ج١/٢٢١- ٢٢٥.

[٢] ينظر الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م، ج٢/٢٧٤.

[٣] ينظر ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، للجندي، ص١٢٠.

إنْ كنـــتَ عَـنْ خَـــيرِ الأنَـــامِ سَائِـــلا ** فَخَيْرُهُـــــمْ أكثَرُهُـــــــمْ فَضائِـــلا
مَـن أنـــتَ مِنهـــــمْ يـــا هُمـــامَ وَائِـلا ** ألطّاعِنِـــينَ فـــي الوَغَـــــى أوَائـــلا
وَالعاذِلِـــينَ فـــي النّـــــدَى العَـــواذِلا ** قـــد فَضَلـــوا لفَضْـــلِكَ القَبَائِـــلا

يقول الشاعر: إن كنت تسألني عن خير الناس، فإن خيرهم من كانت فضائله أكثر وأنت منهم يا همام وائلاً، وخير الناس العرب الذين أنت منهم يا سيد وائل، وهم الذين يطعنون في الحرب أوائل الخيل في المعركة، فهم الشجعان؛ لأنه يسبق إلى الطعان إلا الشجاع، أي أنهم يطعنون وجوه الأعداء وصدورهم، و إذا عذلهم العواذل على السخاء عذلوهن على عذلهن، وفضلوا سائر القبائل بسبب فضله ومآثره. [٢]

يمدح أبو فراس الحمداني الأمير وابن عمه سيف الدولة بقصيدة يبدأها بالفخر بنفسه وشجاعته في الحرب، ثم يُخَلّص إلى مدح الأمير الحمداني[٣]، قائلاً:[٤]

ألا مـنْ مبلـــــغٌ ســـــروات قومي ** وَسَيْـفُ الدّوْلَـةِ المَـلِكَ، الهُمَامَـا!
بأنـي لـــمْ أدعْ فتيـــــاتِ قومـــــي ** إذا حـــــدَّثْنَ، جمجمـــــنَ الكلامـا
شَرَيْـتُ ثَنَاءَهُـــنّ بِبـــــذْلِ نَفْسِـي ** ونـارِ الحـــربِ تضطـــرمُ اضطرامـا
وَلَمّـــا لَـــمْ أجِـــــدْ إلاّ فِـــــرَاراً ** أشَـــــدَّ مِـــنَ المَنِيّةِ أوْ حِمَامَـا
حَمَلْـــتُ عَلـى وُرُودِ المَـوْتِ نفسِـي ** وقلـتُ لعصبتـــي: موتـــــوا كرامـا
وهـــلْ عـــذرٌ، وسيـــفُ الدينِ ركني ** إذَا لَـــمْ أرْكَـــبِ الخُطَـــطَ العِظامَـا

---

[١] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، ص ٣٤٨.

[٢] ينظر معجز أحمد، ج٣١٢/١.

[٣] ينظر فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، تأليف: د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م، ص٢١٠.

[٤] ديوان أبي فراس، شرح: د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، سنة١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ٢١٣.

وأتبـعُ فعلـــــهُ، فـــي كـــلِّ أمـرٍ ** وأجعـــلُ فضلـهُ، أبـــداً، إمامـا
وقـــدْ أصبحـــتُ منتسبـــــاً إليـهِ ** وحسبـــي أنْ أكـــونَ لـهُ غلامـا
أرَانـي كَيْـــفَ أكْتَسِـــبُ المَعَالـي ** وَأعْطَانـــي، عَـلـى الدّهْـر، الذّمَامَا
وَرَبّانـــي فَفُقْـــتُ بِـــهِ البَرَايـــا ** وَأنْشَأنـــي فَسُـــدْتُ بِـــهِ الأنَامَـا
فَعَمَّـــرَهُ الإلَـــــهُ لَنَـا طَوِيـــلاً ** وَزَادَ الله نِعْمَتَـــــهُ دَوَامَـــــا!

يقول الشاعر: من يُبَلّغ أسياد قومي، وسيف الدولة الملك الذي يمضي همه في الامور، وأنا لم أدع فتيات قومي إذا قلن كلاماً مبهماً، وشريتُ مدحهن ببذل نفسي، ولكن نار الحرب تشتعل فيّ اشتعالاً، ولم أجد فراراً أشد من الموت أو قَدَرُ الفراق، ويشير إلى الأعداء الذين جاءوا إليه وهو يصطاد مع أصدقائه، فأقبل عليهم وقال لأصدقائه موتوا كراماً، فهزمهم بإذن الله، ولا عذر لي ما دام سيف الدولة سندي وركني الذي أشدد به أزري، وأنا أتبع فعله في كل أمر ، وأجعل فضله دائماً إماماً، وأصبحتُ منتسباً إليه، وحسبي أن أكون له غلاماً، وأراني كيف أكتسب المعالي والشرف، وأعطاني الحق والحرمة، ورباني على الشجاعة، ففقتُ بالأمير على الخلق، وأدعو للأمير بطول العمر وزيادة النعمة والخير دوماً.

وذكر أنّ سيف الدولة حضر عيد النحر، ففرّق على أرباب دولته ضحايا، وكانوا ألوفًا، فبعث إليهم ما يضحون به، فأكثر من ماله مائة رأس وأقلّهم شاة، وقيل: لزمه في فداء الأسري سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ستمائة ألف دينار، ومن بينهم أبو فراس الحمداني، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية،

من ضعاف الناس، فأما الجلة ممن كان أسيراً، ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم [١]، وفي ذلك قال الببغاء يمدحه:[٢]

مَـا المَـــــالُ إلاَّ مَـا أَفَـــادَ ثَنَـاءَ ** مَـا العِـــزُّ إلاَّ ما ثَنَـى الأَعْـدَاءَ
شَحَّـــتْ عَلَـى الدُّنْيَـا المُلُوكِ وَعَافَهـا ** مَنْ لَـمْ يُطِـعْ فِي حِفْظِهَـا الأَهْـوَاءَ
بَـــاعَ الَّـــذِي يَفْنَـى بِمَا أَبْقَـى لَـهُ ** ذِكْـرًا إِذَا دَجَـتِ الخُطُـوبُ أَضَـاءَ
فَلَيْهِـنَ سَيـــفَ الدّوْلَـةِ الشَّـرَفُ الّـذِي ** لَـو كَـانَ مَرْئِيـــًا لَكَـانَ سَمَـــاءَ
أَمُحَقِّـــقَ الآمَـــالِ بِالكَـــرَمِ الَّـذِي ** أَحْيَـا العُفَـــاةَ وَبَخَّـــلَ الكُرَمَـاءِ
وَفَدَيْـــتَ مِـنْ أُسَـــرِ العَـــدُوّ مَعَاشِـرًا ** لَـــوْلاَكَ مَـا عَـــرَفَ الزَّمَـانُ فِـدَاءَ
كَانُـــوا عَبِيْـــدَ نَـــداكَ ثُـــمّ شَرَيْتَهُـم ** فَغَـــدوا عَـبِيْـــدكَ نَعْمَـــةً وَشِـرَاءَ
والأَسْـــرُ إِحْـــدَي المِيْتَتَـــيْنِ وَطَالَمَـا ** خُلِّـــدُوا بِـــهِ فَأَعَدْتَهُـــم أَحْيَـاءَ
وَضَمِنْـــتَ نَفْـــسَ أَبِي فِـــرَاسٍ لِلْعُـلَا ** إِذْ مِنْـهُ أَصْبَحَـــتْ النُفُـوسُ بَـــراءَ
خُصَّـــتْ بَنُـــو حَمَـــدَانٍ مِنْـهُ بِنِعْمَـــةٍ ** عَـمَّـــتْ بِفَضْـلِـكَ تَغْلِـــبَ الغلبَاءَ

يقول الشاعر: لا ينفع المال الذي لا يفيد صاحبه بالثناء عليه، وما العز إلا ما يني به الأعداء، بخلتْ الملوك على الإنفاق في الدنيا ولكن سيف الدولة عافها ولم يطع الأهواء، وباع الأمير الدنيا الفانية ولم يبقى له سوى ذكره بين الناس، وفيهن سيف الدولة صاحب الشرف النبيل، ولو كان الشرف مرئياً لكان عالياً كالسماء، فهو محقق الآمال بكرمه رغم بخل الكرماء، وفديتَ من أسر الأعداء معاشراً كثيرة لولاك ما عُرف في الزمان فداء، كانوا عبيد نداك ثم شريتَهم فأصبحوا عبيدك

(١) ينظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، ط١ سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ج١٤٨/٢٦.

(٢) الببغاء عبدالواحد بن نصر المخزومي (حياته – ديوانه – رسائله – قصصه)، جمع وتحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٢٥، ٢٦.

نعمةً وشراء، وكأن الأسرى أموات فأعدتهم أحياء بفدائك لهم، ورفعتَ نفس أبي فراس للعلا إذ منه أصبحتْ النفوس براء، خصتْ بنو حمدان منك بنعمةٍ عمّت بفضلك قبيلة تغلب الغلباء.

كان الشاعر" أبو العباس النامي من فحول شعراء عصره، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة، وله معه وقائع ومعارضات في أناشيد"[١]، ومن شعره في مدح سيف الدولة:[٢]

أَمِـيْرُ العُـلاَ إِنْ العَوَالِي كَواسِـبٌ ** عُــلاَءَكَ فِي الدُنَّيَــا وَفِي جَنَّــةِ الخُلْــدِ

يَمُــرُ عَـلَيْكَ الحَوْلُ سَيْفُكَ فِي الطَلَـى ** وَطَـرْفُــكَ مَـا بَـيْنَ الشَكِيْمَــةِ وَاللَبَــدِ

وَيَمْضِــي عَلَيْكَ الدَّهَرُ، فَعَـلَّكَ لِلْعُلَـى ** وَقَــوْلُكَ لِلْتَقْــوَى وَكَـفْــكَ لِلْرِفْــدِ

أَلَــمْ تَــرَ فِرْعَوْنــاً وَمُوْسَـى تَحَارَبَـا ** فَغُـوْدِرَتْ العُقْبي لِذِي الحــقِّ لاَ الحَشَــدِ

جَهِــدْتُ فَـلَــمْ أَبْلُــغْ مَـدَاكَ بِمَدْحَـةٍ ** وَلَيْــسَ مَعَ التَقْصِيْرِ عِنْدِي سِوَى جُهْـدِي

رَيَاحِــيْنُ أَذْهَــانٍ سَمَحُــكَ غَـارِسٌ ** بِهَـا فَاجَنَهَـا بِالعُـرْفِ مِنْ رَوْضةِ الحَمْـدِ

مِــنْ المُذَهَّبَـاتِ الدَارَمِيَّــاتِ سِــرْدٌ ** تَــدُقُ مَعَانِيْهَـا عَـلَـى المَلِـكِ الكِنْــدِي

يقول الشاعر: إن مقام الأمير سيف الدولة عالٍ في الدنيا، ويكون إن شاء الله مقامه يوم القيامة في جنة الخلد، ويمر على الأمير الحول كاملاً وهو حاملاً السيف ويهزم الأعداء، ويمر عمرك وأنت تعمل للتالي على الروم، وتأمر بالتقوى والمعروف، وتساعد كل مسكين وتعطي العطايا، ويقول: ألم تسمع بالحرب التي دارت بين فرعون ونبي الله موسى– عليه السلام– فانتصر الحق على الكفر بإذن الله، وحاولتُ جاهداً في أن أوفي بمدحك، وهو ليس تقصير مني ؛ ولكن هذا جهدي فيما قلتُ في مدحك، فأنتَ السماحة في رجاحة العقل والفعل.

---

[١] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ج٢٦/٤٣٣.

[٢] ديوان النامي، ص٣٠.

ومدح ابن نُباتة السعدي الملوك والوزراء، "وله في سيف الدولة غر القصائد كان قد أعطاه فرسا أدهم أغر محجلًا"(١)، فكتب إليه قائلاً:(٢)

يَا أَيُّهـا المَـلِـكُ الَّـــــذِي أَخْلاَقُـــهُ ** مِـنْ خَلْقِـــهِ وَرُوَاؤُهُ مِـــنْ رَائِـــهِ

قَـــدْ جَاءَنـــا الطِّـرْفُ الَّـذِي أَهْدَيْتَـــهُ ** هَادِيـْـــهِ يَعْـقِـــدُ أَرْضَـــهُ بِسَمَائِـهِ

أَوْلاَيَـــــةً وَلَّيْتَنَـــــــا فَبَعَثْتَـــــهُ ** رُمْحَـا سَبِيْـبَ العُـرْفِ عَقَدَ لِوَائِهِ؟

نَخْتَـــلُّ مِنْـــهُ عَـلَـى أَغَـرَّ مُحَجَّلِ ** مَـاءُ الدَّيَاجِـــي قَطْـــرَةٌ مِـنْ مَائِـهِ

فَكَأَنَّما لَطَـــمَ الصَبَـــاحُ جَبِيْنَـــهُ ** فَاقْتَـصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِـــهِ

يقول الشاعر: أيها الأمير الحسن الخَلْقِ والخُلُقِ الذي رأيه من رأي الجماعة، قد جاءتني هديتك، وأوليتنا نعمة بعطائك متمثلة في رمحاً وفرساً أدهماً محجلاً، كأنما لطم الصباح جبينه فأخذ منه، وكأنه دخل في أحشائه.

وقال الوأواء الدمشقي يمدح سيف الدولة:(٣)

إلـى مـن يظـلُّ الجـودُ يقسـمُ أنـه ** هـو الجـودُ موقوفًا عَلـى كلِّ طالـبِ

هـو السيـفُ إلاَّ أنـه ليـس نابيـًا ** إذا عاقَـه المقـدورُ عن كـلِّ ضاربِ

إذا شاجـروهُ بالرمـاحِ تشاجـرتْ ** نفـوسُ المنايا فـي نفوسِ الكتائـبِ

وتصبُـغُ أَيـدي النقع أَيدي خيولِـهِ ** بمحمـرَّ تـربٍ مـن نجيع الترائـبِ

وكـم خـاض نقعـًا يُمْطِرُ الهامَ وقْعُـهُ ** إلـى الموتِ في صَفَّيْ قَنـاً وقواضِـبِ

---

(١) الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٣٢٦/١٨.

(٢) ديوان ابن نُباتة السعدي، أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة ، بغداد – العراق، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٤م، ج٢٧٣/١، ٢٧٤،٢٧٥.

(٣) ديوان الوأواء الدمشقي، أبي الفرج محمد بن أحمد الغسّاني المشهور بالوأواء الدمشقي، تحقيق: سامي الدهّان، دار صادر، بيروت– لبنان، سنة١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٢٧ ،٢٨.

إذا شئــتَ عونــًا لا يَـذِلُّ لِحـــــادِثٍ ** فنادِ علىَ اسم الله: يا سيفَ غالب!

يقول الشاعر: إن الأمير سيف الدولة جوّاد، وكأن الجود يقسم أنه موقوفاً على من يطلب الجود، بل هو الجود نفسه، وهو السيف الذي لا يخبر عن من عاقه، وإذا شاجروا الأمير بالرماح تشاجرتْ الموت في نفوس كتائب الجيش، وشبه الغبار له أيدي تصبغ أرجل الخيول باللون الأحمر الملطخ بالتراب المبلل، وكم خاض من المعارك التي يجمع فيها بقطع الرؤوس واقتنى السيف القطاع، وإذا أراد العون نادى باسم الله.

الخاتمة

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنهاء هذا البحث الذي يتعلق بدراسة **الشعر الحضاري في بلاط سيف الدولة "دراسة موضوعية فنية" (شعر المديح أنموذجاً)**، نلاحظ أن المديح كان فناً تقليديًا، ودخلت عليه معانٍ جديدة تدور حول الشجاعة والبطولة وشرف الأصل والجود وتمجيد العروبة، فازدهر شعر المديح في ظل الدولة الحمدانية وامتزج بوصف المعارك، وهذا لون جديد من ألوان الشعر في العصر الحمداني الذي ظهرت فيه روح العصر.[١]

وعلى الرغم من الانحلال السياسي والتدهور الأمني والفوضى التي ألمت بواقع الأمة الإسلامية في القرن الرابع الهجري؛ إلا أنه كان عاملًا قويًا ودعامة أساسية لخدمة العلم والأدب والفكر على حدٍ سواء، وكان أيضاً من الأسباب الرئيسة في رقي الأدب شعره ونثره، وكان للندوة السيفية أثر كبير في صقل كثير من المواهب الشعرية.

ويستطيع الباحث في النهاية أن يستنتج الآتي: ☙

١- شهدت الحياة الفكرية والثقافية نهضةً كبيرةً، ونشاطًا ملحوظًا في ظلِّ الحمدانيين؛ فظهر الكثير من العلماء والأطباء والفقهاء والفلاسفة والأدباء والشعراء.

---

[١] ينظر في الشعر العباسي الرؤية والفن، تأليف: د.عزالدين إسماعيل، ص٣٣٧،٣٣٨.

٢- كانت له في مجال الحضارة والعمران الداخلي مجالات برز فيها أكثر من بروزه في المجالات الخارجية .

٣- ومن مظاهر هذا النضج الحضاري، تنوع الحياة الثقافية بجوانبها، من فلسفة، وعلم، وأدب، ولغة، وظهور جماعة من كبار العلماء والأدباء والشعراء، كان لهم دور واضح في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية على مدى العصور.

٤- إن شعراء البلاط الحمداني توفرت لهم الروافد الحضارية، فجاء شعرهم معبرًا عن الحضارة الإسلامية أصدق تعبير.

٥- كان للحضارة أثر في الموضوعات الشعرية، وأن الإسلام وضع قيمًا وسمات خاصة للشخصية الإسلامية، التي أصبح الشاعر يفتخر بها ويمدح ويرثي بها ويهجو بتركها.

المصادر والمراجع

١- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م.

٢- الببغاء عبدالواحد بن نصر المخزومي (حياته- ديوانه- رسائله- قصصه)، جمع وتحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣- البيان والتبيين، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة السابعة سنة ١٤١٨هـ، ١٩٨٨م.

٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه وآدابه، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٥- العين، تأليف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٨- ديوان ابن نُباتة السعدي، أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة ، بغداد – العراق، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٤م.

٩- ديوان أبي فراس، شرح: د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، سنة١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٠- ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت- لبنان.
١١- ديوان النامي.
١٢- ديوان الوأواء الدمشقي، أبي الفرج محمد بن أحمد الغسّاني المشهور بالوأواء الدمشقي، تحقيق: سامي الدهّان، دار صادر، بيروت- لبنان، سنة١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٣- سيف الدولة وعصر الحمدانيين، تأليف: سامي الكيالي، دار المعارف للطبع والنشر، القاهرة - مصر.
١٤- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، تأليف: درويش الجندي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر سنة ١٩٦٩م.
١٥- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، تأليف: د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب ، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م.
١٦- في الشعر العباسي الرؤية والفن، تأليف: د. عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى سنة١٩٩٤م.
١٧- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
١٨- معجز أحمد.
١٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تأليف: أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الفكر الإسلام، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م، ودار الكتب الشرقية، سنة ١٩٦٦م.
٢٠- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.